دار الكتب والوثائق العراقية.. نشأتها وتاريخها

م.د. مازن قاسم مهلهل

مركز إحياء التراث العلمي العربي/ جامعة بغداد

Mkssam٩٢٢@gmail.com

الملخص:

تعد دار الكتب والوثائق العراقية معلم مهم وصرح كبير بمساحته المعرفية وأمانته في حفظ كل ما يهم الكتاب وبكافة التخصصات. ايضا تتجسد اهميتها عبر مشاركتها في مؤتمرات عديدة بالتوأمة مر مراكز التطوير بمختلف مسمياتها وتوجهاتها وايضاً أمكنتها داخل وخارج العراق. لذا تمتلك دار الكتب والوثائق العراقية دوراً كبيراً لما تقدمه من خدمات الى الباحثين والقراء وطلبه الدراسات العليا وكذلك الحفاظ على الوثائق النادرة، والاهتمام في الحفاظ على حق المؤلف لما له من أهمية على المجتمع العراقي. تكون البحث من مقدمة أكدت فيها على تميز هذه الدار وأهمية دورها على مدار أزمنة من اجل تقديم افضل الخدمات البحثية عبر المركز الوطني للوثائق في دار الكتب والوثائق، وايضاً لدورها في رفد الأجيال بكل الجزئيات التي يحتاجون لها بالجانب العلمي والفكري. تتمثل مشكلة البحث في عدم وضوح المتغيرات التي جرت بعد الاحداث الكثيرة في العراق، وقد عايشها العديد من العاملين وفي مراحل مختلفة، وايضا للإجراءات التي اتخذت للمكتبة بعد (٢٠٠٣)، وما تعرضت اليه من سرقة وتدمير وإتلاف متعمد وغير متعمد، وهناك من لم يعيد المصادر التي استعارها. ليخرج الباحث بالسؤال الرئيسي: ما أهمية دار الكتب والوثائق العراقية؟ كما أكد الباحث عبر الفرضية الرئيسية: هل هناك اهتمام لمكانة دار الكتب، كمكتبة وطنية، وهل هناك طرق لاستعادة ما يمكن من الوثائق ومصادر المعلومات الأخرى؟

الكلمات المفتاحية: (دار الكتب والوثائق – العراق – النشأة والتطور).

Iraqi Books and Documents House.. Its Origin and History

dr. Mazen Qassem Muhalhal

Center for the Revival of the Arab Scientific Heritage / University of Baghdad

Abstracts:

The Iraqi Book and Documentation House is an important landma and a great edifice with its knowledge space and its honesty in preserving everything that concerns writers and all disciplines. Its importance is also embodied through its participation in numerous conferences in the twinning of development centers with their various names and directions, as well as their locations inside and outside Iraq. Therefore, the Iraqi Books and Documents House has a major role for the services it provides to researchers, readers, and postgraduate students, as well as preserving rare documents, and interest in preserving copyright because of its importance to Iraqi society The research consisted of an introduction in which I emphasized the distinction of this house and the importance of its role over the years in order to provide the best research services through the National Center for Documents in the House of Books and Documents, and also for its role in providing generations with all the details they need in th scientific and intellectual aspect The problem of the research is the lack of clarity of the variables that took place after the many events in Iraq, which were experienced by many workers and at different stages, as well as the actions taken for the library after (٢٠٠٣), and the theft, destruction, and deliberate and unintentional destruction, and there are those who did not return the sources that he borrowed. The researcher came up with the main question: What is the importance of the Iraqi Book and Documentation House? The researcher also stressed through the main hypothesis: Is there interest in the status of Dar al-Kutub as a national library, and are there ways to recover as many documents and other sources of information as possible?

Keywords: (The House of Books and Documents - Iraq - Origin and Development)

المقدمة:

دار الكتب والوثائق العراقية من الدور المتميزة والتي عملت على مدى أزمنة من اجل تقديم افضل الخدمات البحثية عبر المركز الوطني للوثائق في دار الكتب والوثائق، وايضاً انشاء ارشيف وصفحة الكترونية تعنى بالحفاظ على الموروث الثقافي والتاريخي الوثائقي لذاكرة العراق وحسب العهود التي مر بها التاريخ العراقي (العهد العثماني، عهد الاحتلال البريطاني، العهد الملكي، العهد الجمهوري بشقيه الاول والثاني)، وايضاً انفتحت دار الكتب والوثائق على كل ما يخص من الإصدارات المهمة، وذلك لتسهيل مهمة البحث في الحصول على الوثائق المتوفرة في المركز تقدم الصفحة اهم انجازات المركز والرصيد الوثائقي وعرض للوثائق والصور التاريخية بالإضافة الى اسئلة واستفسارات المستفيدين من الصفحة، وقد يستفيد من الباحثين والدارسين من هذه الدار لما لها من بعد ثقافي ومعرفي وايضا فكري.

بالتالي دار الكتب والوثائق العراقية معلم مهم وصرح كبير بمساحته المعرفية وأمانته في حفظ كل ما يهم الكتاب وبكافة التخصصات. ايضا تتجسد اهميتها عبر مشاركتها في مؤتمرات عديدة بالتوأمة مر مراكز التطوير بمختلف مسمياتها وتوجهاتها وايضاً أمكنتها داخل وخارج العراق. لذا تمتلك دار الكتب والوثائق العراقية دوراً كبيراً لما تقدمه من خدمات الى الباحثين والقراء وطلبه الدراسات العليا وكذلك الحفاظ على الوثائق النادرة، والاهتمام في الحفاظ على حق المؤلف.

مشكلة البحث:

تتباهى الامم بمؤسساتها العلمية، ومكتباتها التوثيقية والمعرفية، وايضاً بعلمائها ومفكريها ومؤرخيها وكافة الشخصيات المتميزة بأعمالها التي تخدم اوطانهم والبشرية بصورة عامة، وتقوم بنشر سيرهم الذاتية ونشاطاتهم الفكرية لكي يستفاد منها الاجيال حاضرا ومستقبلا وقد برز في تاريخ بلدنا بكل ميادين الحياة المختلفة رجالاً ونساءً كانوا محط اهتمام وثقة الباحثين التي تكشف إبداع العقل الانساني، بفضل ما أولت به دار الكتب والوثائق العراقية

تتمثل مشكلة البحث في عدم وضوح المتغيرات التي جرت بعد الاحداث الكثيرة في العراق، وقد عايشها العديد من العاملين وفي مراحل مختلفة، وايضا للإجراءات التي اتخذت للمكتبة بعد ٢٠٠٣، وما تعرضت اليه من سرقة وتدمير وإتلاف متعمد وغير متعمد، وهناك من لم يعيد المصادر التي استعارها. على ضوء ذلك تناولت الدراسة والتحليل موضوع:(دار الكتب والوثائق العراقية.. نشأتها وتاريخها). ليخرج الباحث بالسؤال الرئيسي: ما أهمية دار الكتب والوثائق العراقية؟ كما أكد الباحث عبر الفرضية الرئيسية: هل هناك اهتمام لمكانة دار الكتب، كمكتبة وطنية، وهل هناك طرق لاستعادة ما يمكن من الوثائق ومصادر المعلومات الأخرى؟

المبحث الأول

نشأة دار الكتب والوثائق وتطورها

اولا – نشأتها وتطورها:

إن تأسيس دار الكتب والوثائق يعود إلى عام (١٩٨٧)، عندما قررت وزارة الثقافة العراقية أن تقوم بدمج المكتبة الوطنية التي تم تأسيسها عام (١٩٢٠) مع المركز الوطني للوثائق الذي تأسس سنة (١٩٦٣)، "وكان الهدف من هذا الدمج هو توحيد اعمالهما وتكوين وجهة واضحة لتسهيل مهام الباحثين، ويعود تاريخ انشاء المكتبة الوطنية الى عام (١٩٢١) عندما تألفت لجنة خاصة وبأمر من الملك (فيصل الأول)، تكونت هذه اللجنة من مجموعة من كبار الأدباء والعلماء والوجهاء العراقيين الذين اخذوا على عاتقهم تشكيل هذا المعلم الوطني الكبير.

واصبحت المكتبة الوطنية هي المكتبة الرسمية في البلاد في عام (١٩٢٩) وحدث هذا بأمر وزاري رسمي، وكانت هذه المكتبة تسمى بالمكتبة العامة حتى عام (١٩٦١) والذي صدر فيه قانون رقم (٥) لسنة (١٩٦١) حسب القانون العراقي العام، ونص القانون على تأسيس مكتبة رسمية في بغداد تسمى (بالمكتبة الوطنية)، تقوم هذه المكتبة بجمع وحفظ واصدار الكتب الرسمية والمخطوطات والمطبوعات الدورية والمصورات وكل شيء له علاقة بالتراث الوطني والعربي، وأي شيء يتصل بالحضارة

والتراث الإنساني، وايضاً العمل على تسيير أمور الباحثين كافة، وفي عام (١٩٦٤) انتمت المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والارشاد وذلك حسب القانون العراقي العام المرقم (٤٣) لسنة (١٩٦٤)، وفي عام (١٩٧١) شرع قانون الإيداع وبموجبه اعتبرت المكتبة الوطنية مركزا للإيداع القانوني، وقد صدرت التعليمات الخاصة بالإيداع بغرض توضيح القانون وفي عام (١٩٨٧) تم دمج المكتبة الوطنية مع المركز الوطني للوثائق ليكونا معاً دار الكتب والوثائق الوطنية، وحدث ذلك استناداً الى تعليمات وزارة الثقافة والاعلام رقم(٨) لسنة (١٩٨٧) وبهذا التشريع اصبحت المكتبة الوطنية احد تشكيلات الدار المذكورة، تقع دار الكتب والوثائق في وسط العاصمة بغداد قرب مقر وزارة الدفاع العراقية، وينقسم بنيانها إلى قسمين، هما مركز الوثائق والمكتبة العامة، يقوم البحث فيها على أطلاق وتعيين عناوين مختارة مسبقاً عبر فهارس إلكترونية وتسجيل الطلبات ثم استلام النسخ الأصلية أو صور إلكترونية يتم ارسالها للباحثين، ويصف أغلب الباحثين في هذا الجانب هذه الدار على انها تعتبر مرجع لآلاف الباحثين العراقيين ومركز علمي وثقافي مهم، ويحظى باهتمام حكومي سخرت له الإمكانيات المتاحة لتلبية كافة الحاجات للباحثين على اختلاف طلباتهم.

وتعد هذه المكتبة هي المركز الوحيد لإيداع كل الانجازات التي تم اصدارها في العراق، وبسبب عمليات سرقات تاريخية تعرضت لها المكتبة الوطنية، اصبح هنالك اجراءات متبعة لاستعادة الوثائق والكتب، وبين القائمون على هذه المكتبة، "أن هذه الدار شرعت ومنذ إعادة ترميمها من آثار الدمار الكبيرة التي تعرضت لها، بإعادة المسروقات عبر عملية الشراء المباشر من كافة المصادر والمراجع أو حث كافة المواطنين على إرجاع ما اشتروه من الكتب المسروقة بأموالهم الخاصة دعما لدار الكتب والوثائق الوطنية، وهنا قد عاد جزء كبير من المفقودات بالفعل". [١]

ويوجد في قسم الوثائق حرص خاص من كل مؤسسات الدولة من أجل حفظ أهم الوثائق المهمة في دار الكتب والوثائق الوطنية، ولهذا السبب يجد أغلب الباحثين في هذا الجانب وثائق تعود لمراحل تاريخية قديمة، ولاسيما الوثائق (العبرية) التي تحتفظ بها هذه

الدار، ومن أهم المهام الخاصة في قسم الوثائق، إنه يوفر كافة الاحتياجات لأكثر من ثلاثة آلاف باحث خلال سنة كاملة، وكما أنه يعمل على استخراج الأصول الخاصة بالأملاك الرسمية في زمن الحكم العثماني على العراق والذي انتهى عام (١٩١٧) وما يتبعه من الاضافات في الحكومات التي حكمت البلاد، ويوجد الكثير من الوثائق العثمانية تحديدا قد تم نهبها بعد (٢٠٠٣) وهو ما يعد خسارة كبيرة لا يمكن تعويضها، ويذكر أنه في عام (١٩٧٠) شرع القانون العراقي قانون الإيداع الذي بموجبه اعتبرت المكتبة الوطنية هي المركز الرئيسي للإيداع القانوني للإنتاج الفكري العراقي من المطبوعات والكتب والدوريات، ويحتوي القسم الثاني من المبنى حيث المكتبة التي تحتوي على قاعتين، واحدة للمطالعة والثانية تحتوي على الكتب، ويقع خلف جدرانهما مخزن كبير مكون من خمسة طوابق يحوي مئات الشواخص الحديدية وزعت عليها الكتب حسب أرقام وفهارس تم ترتيبها من قبل القائمين عليها، وإن هذه المكتبة تحتوي على أكثر من (٣٥٠ ألف) عنوان بكافة المجالات وهذا ما عدا الصحف والمجلات، وتملك الدار نسخا كاملة لأغلب الصحف العربية والعراقية، ويضاف للمكتبة ما يقارب أربعة آلاف عنوان سنوياً، وذلك عبر الإيداع المباشر من اصحاب ومؤلفي هذه الكتب وأصحاب رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه، وايضاً تحتوي على عناوين أخرى تجد طريقها للمكتبة عبر الشراء والتبادل المحلي أو الدولي، وأن الدار ماضية بإنشاء المكتبة الرقمية التي ستسهل مهام الباحثين ومهام الكوادر العاملة، مع حفظ النسخ الأصلية من الاستخدام المباشر المستمر، وهنالك العشرات من الباحثين الذين يتوجهون لهذه الدار وهي بدورها تعمل على توفير احتياجاتهم لمئات العناوين في كل يوم، وتعتبر دار الكتب والوثائق العراقية هي أقدم مكتبة عامة في عهد العراق الحديث وكانت تسمى سابقا (بالمكتبة الوطنية ومركز الإيداع في العراق)، ولهذه المكتبة المركزية وظائف عديدة ومنها، تقديم الخدمة المكتبية والوثائقية للباحثين والمطالعين، والحفاظ على الموروث الثقافي العراقي وإحيائه من جديد، وإصدار السلسلة الببليوغرافية الوطنية العراقية بشكل دوري ومنظم تماماً، وتبادل المطبوعات على مستوى عربي وإقليمي ودولي وتطوير العلاقات الثقافية بينها وبين

المكتبات الوطنية في باقي دول العالم، توفير واقتناء الانتاج الفكري العراقي الذي يصدر خارج العراق لمؤلفين أو مترجمين أو مثقفين عراقيين، وكذلك اقتناء المطبوعات التي تخص العراق الصادرة باللغات العالمية لتغدو مجموعات المكتبة متكاملة وشاملة، وايضا إقامة الدورات التدريبية المتخصصة في المكتبات والفهرسة وحفظ الوثائق وتكنولوجيا المعلومات والأرشفة الرقمية. "وكانت هذه المكتبة ومنذ نشأتها تعمل على حفظ التراث الفكري والثقافي والعلمي بأفضل صورة ممكنة، وكان هذا التعامل يكون بمراعاة كل فترة زمنية، وذلك من اجل تذليل العقبات امام الحفاظ على هذا الكنز المعرفي والثقافي والعلمي في قلب بغداد، وعلى سبيل المثال طريقة الحفاظ على الكتب واستعراضها امام الباحثين عند انشاء المكتبة كان يتم بصورة اعتيادية وبصورة عامة، وهذه الطريقة كانت كل مكتبة عامة قادرة على العمل بها وبعد فترة بسيطة من الزمن وبعد ان اصبح هنالك اقبال اكثر عليها من قبل الباحثين والكتاب والقراء اصبح هنالك تبويب لعملية حفظ الكتب والوثائق والنصوص العلمية واستعراضها بصورة منظمة امام الباحثين"[٢]، وبعدها اصبح هنالك فهرسة كاملة لكل ما هو موجود داخل المكتبة وكانت الاسئلة المطروحة على العاملين فيها تتم بصورة سلسة جداً، والسبب كان هنالك ترتيب كامل لكل ما هو موجود بقلب المكتبة.

والمكتبة الوطنية هي المكتبة المسؤولة عن جمع وحفظ وصيانة الانتاج الفكري للدولة، وتعتبر من هذا المنطلق مؤسسة من المؤسسات الاساسية للدولة، وتوجد المكتبات الوطنية في كل بلاد العالم، او في معظمها على الاقل وهي تمارس دورها المنوط بها بشكل كامل، ويتطور هذا الدور لمتطلبات العصر، وذلك من ناحية ظروف الدولة واحتياجاتها، قد تطور دور المكتبة الوطنية في كل بلدان العالم بداية من القرن الواحد والعشرين في ظل بيئة الكترونية متطورة وفي ظل شبكة المعلومات الدولية، وايضا في ظل دخول عدد من الدول في زملاء المجتمعات والمعلومات والمعرفة والعلم، تعتبر المكتبة الوطنية هي شريك اساسي في المجتمع ولها دور حيوي في تقديم المعرفة والمعلومات التي لا يمكن ان يحصل عليها المواطن من مكان اخر، ونوع مهم من

المكتبات حيث انها تهدف الى زيادة وعي المواطن بالخدمة الالكترونية والخدمة المعرفية والحكومية وكذلك المشروعات للدولة، وترجع اهمية المكتبات الوطنية الى الدور الذي تقوم به في تعريف المواطنين وزيادة وعيهم بالمعلومات الخاصة بكل ما يتعلق بالإنجازات التي تقوم بها الدولة. والمشروعات التنموية وكذلك مساعدة المواطنين من خلال تقديم بعض الخدمات الحكومية او ما يخدم المواطن.

ثانيا – مفهوم الخدمات المكتبية وخصائصها:

إنَّ الخدمات المكتبية اصبحت ركنا اساسياً من اقتصاديات الدول، اذ اصبح الطلب على الخدمات من ضرورات الحياة التي لا يمكن الاستغناء عنها، بسبب تعقد مسارات الحياة والارتفاع في المستوى المعيشي المتمثل في الفاصل في الفاظ من الدخل اضافة الى زيادة تخصصات مجالات تقديم الخدمة، حيث اصبحت الخدمات مؤشرا تقاس من خلال قوة الاقتصاد، كما اصبحت الخدمات المكتبية تنطبق عليها خصائص الخدمات ولكن تختلف طريقة اداء العاملين من مكان لأخر والمعدات المستخدمة، وكذلك طبيعة الانشطة واجراءات واختلاف رغبات المستفيدين، كما ان مفهوم الخدمات المكتبية لا يبدو اكثر وضوحا الا من خلال استعراض فجأة حيث تكسب الخدمة كمنتج عدة خصائص تميزها عن السلعة وتتمثل هذه الخصائص المميزة في التفاعل المباشر بين البائع والمستفيد، "حيث يؤثر اتصال المستفيد وتفاعله مع مقدمي الخدمة لهذا النظام وهو جزء من التأثير المباشر على مزاج وانفعالات وانطباعات المقدم والمستفيد من الخدمة"[٣]، والجانب الغير ملموس والتميز عملية تقديم الخدمة بانها انشطة تؤدي ان يكون لها كيان مادي ملموس، وتتميز الخدمة بان لها مؤثرات سيكولوجية تتمثل في طبيعة واسلوب مقدمي الخدمة للزبائن، ولغته ومستوى تجهيزات ومكان تقديم الخدمة المستغرق في تقديمها، وايضاً سرعة الاستجابة فالخدمة تستهلك خلال مدة زمنية معينة ولا يتأثر بها المستفيد الا مع بداية تقديمها من جديد.

ويمكن أن يزداد ذلك مع مرور الزمن، عبر تقديم الخدمة وهذا على عكس السلعة التي يمكن تجربتها من قبل استعماله، وعدم القدرة على التخزين نظراً لأن الخدمة

هي أداء أو جهد وليس شيء مادي ملموس، فانه يستحيل تخزينه لخلق ما يعرف بالمنفعة الزمنية كما هو الحال في السلع المادية الاخرى، ولا يمكن تخزين الخدمة في وقت يوجد فيه طلب في حين يمكن تخزين الاجهزة والمعدات المستخدمة في انتاج الخدمة ضعف الملاءمة في مستوى الاداء للخدمة، التي لا تتميز في مستوى ادائها بالنمطية حيث يمكن أن يختلف مستوى المكتبية من قسم لأخر في نفس المكتبة وذلك من الصعب مراقبة الجودة في انتاج الخدمات، أو ان تختلف طريقة تقديم الخدمة من شخص لأخر حسب درجة تفاعل بين المقدم والمستفيد ومكان وزمان تقديمها وكفاءة وسلوك مقدمي الخدمة تركز ادارة الجودة للخدمات على اداء العاملين وابعاد الجودة، وللحكم على مدى ملائمة خدمة من الخدمات لتحقيق متطلبات المستفيد أو التدقيق والمراقبة على اداء الخدمة والعمل على التنافس فيما بينهم في تقديم انواع محددة من الخدمات ويعد كشف رضا المستفيد أحد المقاييس المهمة التي تستخدم في بيان نجاح اي مؤسسة، "وتعد اهمية رضا المستفيد من اهم المعايير الفاعلة للحكم على مستوى اداء المكتبات لخدماتها وذلك لمعرفة رضا المستفيد عن مستوى الخدمة، وذلك من خلال امكانية العودة الى المكتبة التي يتلقى منها الخدمة الجيدة وتشجيع حتى المستفيدين الاخرين بزيارة المكتبة، وهذه احدى المقاييس المهمة لقياس جودة الخدمات المكتبية مع امكانية الرجوع اليها في تقليل سياسة المكتب ومراجعة الانظمة السائدة، وتساعد في معرفة مستوى اداء العاملين في المكتبة وبيان مدى حاجاتهم لبرامج تدريبية"[٤].

ويعد تحقيق رضا المستفيد هو احد المقاييس المستخدمة في إدارة الجودة الشاملة للمؤسسات الخدمية والانتاجية والتي تستخدم غالباً لقياس مدى كفاءة خدماتها وانتاجيتها وعليه فان هذا المقياس يحتاج الى مستوى محدد من البيانات المتعلقة بالرضا اذ أن احيانا المستفيدين يكونون غير راضين عن مستوى الخدمات المقدمة من قبل ادار المكتبة، ولا يمكن بمجرد تجميع أوعيه المعلومات وتنظيمها أن يكون هدفاً في حد ذاته وإنما وسيلة لتيسير سبل الإفادة من هذه الأوعية ونظراً لأن المكتبة تحرص على توفير أوعية المعلومات التي تقوم بتنظيم هذه الأوعية بأشكالها المختلفة، إذا أن التفاعلات هذه

تحدث عنه مخرجات تكون هي الخدمات المباشرة التي يقدم للقراء والباحثين وغيرهم من المستفيدين، وتتنوع هذه الخدمات بتنوع المكتبات ذاتها وكيف تعددت أنواع المكتبات وكيف تختلف هذه الأنواع وفقاً لاختلاف أهدافها ووظائفها وطبيعة مقتنياتها، أو احتياجات المستفيدين منها وما تقدمه من خدمات، حتى وأن كانت جميعها وعلى اختلاف أنواعها وخدماتها تتفق في هدف واحد وهو سبل الإفادة من كافة المعلومات، تعريفات متعددة وكثيرة للخدمة المكتبية من أبرزها تعريف المعجم الموسوعي لعلوم المكتبات والتوثيق والمعلومات بأنها التسهيلات التي تقدمها المكتبة لاستخدام الكتب وبث المعلومات، وتعنى كل الأنشطة التي تؤديها والبرامج التي تقدمها المكتبات لمقابلة احتياجات المعلومات التي يحتاجها رواد وقراء المكتبات، "ويمكن أن تضم هذه الخدمات مدى واسعاً وتدرج هرمي للخدمات المكتبية مثل الخدمات العامة، خدمات المعلومات، خدمات الإعارة التي يتم إقرارها لمكتبة معينه وفقا لأهدافها حتى تتحقق الخدمة المكتبية في المكتبات ومراكز المعلومات على الوجه الأكمل، ولابد من عدة متطلبات ومقومات أساسية ترتكز عليها وتتمثل هذه المتطلبات في، مصادر للمعلومات بكافة أشكالها، وايضاً توفر الكائن البشرى المؤهل، والتسهيلات اللازمة لمجتمع المستفيدين وللقراء والمطالعة والبحث وهناك بعض الباحثين المتخصصين".[٥]

يرى الباحث أن مفهوم الخدمات المكتبية وخصائصها لا يمكن أن يكون مجرد تجميع أوعيه للمعلومات وتنظيمها، بل يجب أن يكون هدفاً في حد ذاته ووسيلة لتيسير سبل الإفادة من هذه الخدمات المكتبية، لأنها تحرص على توفير المعلومات فضلاً عن أنها تقوم بتنظيم هذه الأوعية بأشكالها المختلفة. كما أن التفاعلات مع ما يقدم من خدمات تنتج عنها مخرجات تقدم ألى للقراء والباحثين وغيرهم من المستفيدين .

وتتنوع هذه الخدمات بتنوع المكتبات ذاتها، كما أنها تتعدد بأنواعها وتختلف هذه الأنواع وفقا لاختلاف أهدافها ووظائفها وطبيعة مقتنياتها واحتياجات المستفيدين من خدماتها وما تقدمه من خدمات. وأن كانت جميعها على اختلاف أنواعها وخدماتها تتفق في هدف واحد وهو (سبل الإفادة من المعلومات).

المبحث الثاني

دور دار الكتب والوثائق في حفظ التراث

الثقافي والنتاج الفكري

إنطلاقاً من منهج دار الكتب والوثائق في توسيع نطاق عملها، والذي شمل محافظات العراق وبما يصب في حماية وحفظ الوثائق العراقية والموروث الثقافي للبلد في تلك المحافظات، نسبت الدار عدداً من موظفيها ليكونوا مندوبين عنها في بعض جوانب اشتغالها. وقد "حقق المندوبون نشاطات واسعة بدءً بنشر مفاهيم أهمية الوثائق العراقية والحفاظ على النتاج الفكري العراقي، وذلك عبر التأكيد على أهمية الالتزام بتنفيذ قانون الإيداع رقم (٣٧) لسنة (١٩٧٠) وقانون حفظ الوثائق رقم (٧٠) لسنة (١٩٨١)". [٦]

وتواصل المكاتب عملها ومتابعة الانشطة في المحافظات، عبر الزيارات الى الجامعات والكليات التابعة لها، وايضاً زيارة المكتبة المركزية في المحافظة، ودار الكتب ومركز الوثائق التابع لجامعة بابل، وتستلم عدد من الرسائل الجامعية والمجلات العلمية التابعة للجامعة،

فضلاً عن زيارة الدوائر الرسمية في المحافظة وتبليغها بضرورة الالتزام بقانوني الإيداع وحفظ الوثائق، ومتابعة دور النشر والطباعة والصحف التي تصدر في المحافظة وتبليغها بضرورة الالتزام بأحكام القانون (٣٧) لسنة (١٩٧٠) الخاص بالإيداع القانوني، وضرورة تسليم المصنفات والمطبوعات الحاصلة على أرقام إيداع من قبل دار الكتب والوثائق الوطنية، وحجز أرقام إيداع للمطبوعات الصادرة في المحافظة، كما يتم متابعة الندوات الثقافية والفكرية التي تقوم بها بعض الصحف والمنتديات الحلية.

اولا – التراث الثقافي والنتاج الفكري

عديدة هي الأنشطة الثقافية التي حققت نجاحات مهمة ومستمرة في المحافظات، إضافة إلى بغداد، عبر مؤسساتها الثقافية والتعليمية وبما يصب في أهدافها، والتي

حاولت وعملت دار الكتب والوثائق الحفاظ عليها ومتابعتها، من خلال الزيارات الميدانية للأمكنة التي تعنى بالنتاج الثقافي العراقي من أجل الحفاظ على التراث الوثائقي فيها.

في عام (١٩٦٤) ألحقت المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والإرشاد بموجب القانون رقم (٤٣) لسنة (١٩٦٤) وفي عام (١٩٧٠) شرع قانون الإيداع رقم (٣٧) لسنة (١٩٧٠) وبموجبه اعتبرت المكتبة الوطنية مركزا للإيداع القانوني، وقد صدرت التعليمات الخاصة بالإيداع لتوضيح القانون وفي عام (١٩٨٧) دمجت المكتبة الوطنية مع المركز الوطني للوثائق، ليكونا دار الكتب والوثائق وذلك استنادً إلى تعليمات وزارة الثقافة والإعلام رقم (٨) لسنة (١٩٨٧) وبهذا التشريع أصبحت المكتبة الوطنية إحدى تشكيلات الدار المذكورة. (٧)

على ضوء هذا التشكيل نجد أن هناك أمكنة محددة تعنى بهذا الجانب والمتضمن التراث الثقافي وتفرعاته، ومنها مقر المحافظات واقسامها، وايضاً الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، ونقابة الصحفيين، وهنا يتحقق التواصل والتعاون بما يخدم النتاج الثقافي في العراق ، والحفاظ على التراث الوثائقي. ومتابعة مكتبات الكليات واصداراتها، إذا كانت مجلة أو صحيفة تصدر باسمها، لتقوم الكليات بإهداء بعض النسخ من أجل حفظها في دار الكتب والوثائق. والوقوف عند عمل واصدارات مراكز الأبحاث ومؤلفاته لحفظها في الدار ووضعها في خدمة المطالعين والمهتمين. أما عمل المطابع الأهلية في العراق يلامس هذه المساحة الثقافية المعنية بالتراث والأدب، وضرورة التنسيق في هذا المجال لتقديم خدمة للدار وللباحثين.

بالجانب الآخر يقوم مكتب الدار بجولات متعددة للتعريف بمهامها وأهداف عمل الدار في نشر الوعي المكتبي بجوانب كثيرة، ومنها الجانب الثقافي، والتعريف بضرورة الحفاظ على التراث من الضياع ، وفهم آليات التسهيلات التي تخدم الجهات الثقافية المعنية بما يخدم الواقع الثقافي والمكتبي عبر التنسيق مع مندوبي دار الكتب في المحافظات لمفاتحة الوحدات الإدارية واللجان الفرعية المرتبطة بدار الكتب والوثائق، والتي هي مرتبطة بسقف زمني لكل الوثائق المعنية بالجانب الثقافي، لما لهذا الجانب من

أهمية تعكس هوية البلد عبر المنجز الثقافي المجسد شعراً كان أو رواية وحتى قصة، فضلا عن النص المسرحي والنقدي، وعديدة هي مفاتيح الثقافة والأدب التي يمكن لها رسم مستوى البلدان بالجانب الثقافي وعبر مراحل زمنية مختلفة وحقب مضى عليها الكثير، هنا تتبين أهمية هذه المؤسسة إي دار الكتب والوثائق لأنها الشاهد على كل وثيقة ومنجز يمتلك خطاب ثقافي، لتتضح عبر هذه المخطوطات الحضارة وحفرياتها التاريخية، والعراق الأن يمتلك مخطوطات تؤكد حضارة وادي الرافدين، وتبين دور اللغة المسمارية كأول بلد خط الحرف، هذا ما أشير له، على أن البحوث والدراسات التي جمعت بهذا الجانب، يرجع إليها الباحثين والدارسين ليقف عندها كمصادر تدعم توجهاتهم وبحوثهم، فضلا عن قراءة بعض الموقف والأحداث التي مر بها البلد حيث تعرض الكثير منها للتلف والحرق والسرقة.

يرى الباحث وعبر ما تقدمت به، أن واجب الحفاظ على الوثائق والمنجزات الثقافية ومنها ما يخص الموروث، شأن عام وهو واجب الجميع، ليس فقط دار الكتب والوثائق، وأن أهمية الحفاظ على الوثائق هي مسؤولية الجميع، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على تحمل المؤسسات وحتى الافراد مسؤوليتها عبر التعاون المشترك مع ممثلي دار الكتب والوثائق، إذ أن البعض في موقع المسؤولية، لم يعطَ اي اهتمام لهذه المؤسسة، ولم يسمع بدار الكتب والوثائق، وهي المؤسسة الوحيدة في البلاد التي تقع على عاتقها حفظ الإرث الثقافي للعراق والمواطن العراقي. فنحن هنا نقوم بدورنا المعرفي والفكري لمعرفة الجميع بدور هذه المؤسسة وأهميتها. وتعد المكتبات الوطنية ومؤسسة الكتب والوثائق مرآة الشعوب وسجل الأمم الذي يعكس التطور العلمي والحضاري والثقافي، ولها دور هام في عبر قانون الإيداع، ولهذا تتمتع المكتبات الوطنية بالأهمية في خدمة الحياة الثقافية التي تسعى البلدان المختلفة لتطويرها، وبذل الجهود على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي.

للمكتبة الوطنية وظائف لا بد من تنفيذها وصولاً الى الاهداف التي ترمي الى تحقيقها وهي: توثيق النتاج الفكري الوطني العراقي عن طريق إصدار (الببليوغرافيا

الوطنية) و(ببليوغرافيا الرسائل الجامعية) بشكل دوري ومنظم وعمل الفهارس لها، وتبادل المطبوعات على المستوى العربي والإقليمي والدولي وتطوير العلاقات الفكرية بينهما، وبين المكتبات الوطنية في العالم، كذلك تعمل على توفير واقتناء النتاج الفكري العراقي الذي يصدر خارج العراق لمؤلفين ومترجمين أو محققين عراقيين، فضلاً عن المطبوعات التي تخص العراق، والصادرة باللغات العالمية لتصبح مجموعات المكتبة متكاملة وشاملة. [٨]

ثانيا – الجودة الشاملة في دار الكتب والوثائق الوطنية:

يستخدم مصطلح الجودة بمعنى النوعية كفكرة عامة تعكس المستوى المتميز يعني كيفية القياس والتعبير الكمي عندما تكون الأشياء ملموسة كما هو الحال في المنتجات المصنعة ومدى تطابقها مع المعايير الموضوعة اما الأشياء الأقل ملموسة مثل نوعية الخدمات المكتبية المعلوماتية فان تحديدا النوعية صعبا جدا ويكون الحكم ذاتيا غير موضوعي، ان تحقيق الجودة يعتبر مسؤولية كل فرد في المكتبة على كافة المستويات كما يشتمل على كل جانب من جوانب العمل المكتبي وتؤكد ادارة الجودة الشاملة فكرة تكاملية ولابد من تطبيقها عمليا في كل جانب من نشاطات المكتبة ذلك لان ادارة الجودة الشاملة يتم بالتغير الثقافي بحيث يكون كل فرد في المكتبة ملتزما بتقديم خدمات ذات جودة عالية[٩]، وجودة الخدمة هي بأنها يجب ان تشتمل على البعد الإجرائي والبعد الشخصي كأبعاد مهمة في تقديم الخدمة ذات الجودة العالية ويتكون الجانب الإجرائي من النظم والإجراءات المحددة لتقديم الخدمة اما الجانب الإنساني للخدمة فهو كيف يتفاعل العاملون بسلوكياتهم وممارستهم اللفظية مع المستفيدين وجودة الخدمات المقدمة سواء كانت المتوقعة او الفعلية اي التي يتوقعها او التي يدركها الواقع الفعلي وهي معيار لدرجة تطابق الأداء الفعلي للخدمة مع توقعات المستفيدين مع هذه الخدمة[١٠].

ن ادارة الجودة الشاملة تشتمل على جودة العمليات بالإضافة الى جودة المنتج وتركز على العمل الجماعي وتشجيع مشاركة العاملين واندماجهم اضافة الى التركيز على

العمل وتتضمن على اساليب عدة ومنها، ضبط الجودة وجميع النشاطات والأساليب التي تضمن المحافظة على مقابلة مواصفات السلعة اي استخدام، والفحص هو عملية فحص للأنشطة المتعلقة كقياس واختبار وتفتيش المنتج وتحديد مدى المطابقة للمنتج لكافة المواصفات الفنية الموضوعة فالمنتجات المطابقة للمواصفات تسلم الى العميل اما غير المطابقة فيها فيتم اتلافها ويعاد العمل عليها، وايضاً "تأكيد الجودة وتعني توجيه كافة الجهود للوقاية من حدوث الاخطاء منذ البداية بالقضاء على اسبابها وتتضمن الإجراءات اللازمة لتوفير الدقة بان المنتج او العملية تعني بمتطلبات الجودة الشاملة"(١١).

تلعب الجودة دوراً محورياً في كفاءة اداء العمل الإداري، فهي المعيار للحكم على نتائج العمل الذي يقاس به مدى رضا المستفيدين عما يقدموه من خدمات تتوافق مع متطلباتهم ومع الاهداف أو مجموعة من المعايير المحددة كما انها تتواصل من أجل التطوير والتجديد المستمر في حياتنا العملية، كما يستخدم مصطلح بمعنى النوعية او الجودة في التطبيقات الخاصة بالعلوم والتكنولوجيا والتجارة والتعليم، ويعني ذلك كيفية القياس والتعبير الكمي، أما مفهوم تحقيق الجودة هو مسؤولية كل فرد في المكتبة التي تشتمل على كل جوانب العمل فيها، أو مركز المعلومات، لتؤكد إدارة الجودة الشاملة "بأنها فكرة تكاملية لابد من تطبيقها على جانب من نشاطات المكتبة، ذلك لأن إدارة الجودة الشاملة يتم بالتغير الثقافي"(١٢)، بحيث يصبح كل فرد في المكتبة ملتزماً بتقديم منتجات وخدمات ذات جودة عالية وفي مجال الخدمة المكتبية قام بول بتعريف الجودة انها فائدة أو العائد الذي يتحقق من مقتنيات المكتبة للمستفيدين والوفاء باحتياجاتهم في اعمالهم وبالاستقراء والاسهامات المختلفة لمفكري ادارة الجودة الشاملة، وبتعريف الجودة تتكامل الملامح أو الخصائص المرتبطة بمنتج او خدمة ما بصورة وتؤدي الى تلبية احتياجات ومتطلبات محددة، وعلى هذا فأن التعريف يرتبط بمدى التوافق مع المتطلبات والحاجات لكل من المدخلات والمخرجات المرتبطة باي عملية تتصل بإنتاج الخدمة، أو المنتج المستهدف ليتطلب ذلك ضرورة حتمية التعرف على عناصر عدم التوافق وتحديد اساليب القياس التي يجب استخدامها لاكتشاف عدم التوافق لتحديد الاهداف وخطط

العمل المطلوبة للحد من المشاكل والقيود المؤثرة على جودة الخدمة المنتجة من مرفق المعلومات.

من العناصر الأساسية لإدارة الجودة الشاملة في المكتبات:

١- دعم الإدارة العليا: إدارة الجودة الشاملة هي عملية تستغرق وقتا طويلاً من المبادرة والتطبيق القوي من الإدارة العليا لهذا الدعم الذ قد يعوض الجمهور والعاملين القائمين بتحسين الجودة.

٢- التخطيط الاستراتيجي: اصبحت الجودة الشاملة في مجال المكتبات ذات علاقة وطيدة بمفهوم التخطيط الاستراتيجي الذي يتضمن الجودة الشاملة لمجموعة من القواعد المنظمة والمرافقة لحشد الآليات التي تهدف مجملها الى اعطاء المستفيدين جودة للخدمة المعلوماتية المناسبة.

٣- المستفيد: وتقع خدمة ورضا المستفيد في قلب عملية الجودة الشاملة، فالجودة هي النتائج سواء كانت منتجات ام خدمات كما يقدمها المستفيد.

٤- التركيز على فريق العمل: أي تفويض السلطة والتزام الفريق ضرورة لاشتراك المؤسسة في تحسين جودة الخدمات والمنتجات، ولابد من اعطاء المسؤولين والسلطة الى اولئك الذين يقومون بتقييم وتحسين مجالات العمل.

٥- الالتزام بمواصلة التحسين: عبر تقديم دورات وطرق التعميم والتنمية المرتبطة بجودة الخدمات والمنتجات وتحسين جودة الإنتاج بالاستمرار وبنوع اساليبها.

٦- السماح لكل فرد من العاملين بأن يعمل مع الآخرين في اطار فريق لتحقيق التحسينات وزيادة الإنتاجية المستهدفة.

٧- يجب التركيز على استخدام اساليب القياسات الكمية والنوعية، اذ اريد لعملية التحسين النوع.

المبحث الثالث

آثار حرب ٢٠٠٣ على دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية

اولا – وجهات نظر العاملين في دار الكتب بعد أحداث ٢٠٠٣

لقد تم اجراء دراسات حول الحرب في عام (٢٠٠٣) واثارها على دار الكتب والوثائق العراقية، وقد كشفت استنتاجات هذه الدراسات أن دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية قد تعرضت كتبها ووثائقها ومخطوطاتها وكافة مقتنياتها للسرقات والتدمير والحريق المتعمد عبر اختراق أماكن حفظها وحمايتها، بالرغم من "توافر عدد من الإجراءات الوقائية قبل حرب (٢٠٠٣)، منها توافر أجهزة الإنذار وتوفر افراد حماية لدار الكتب والوثائق الوطنية، والحماية التقليدية الاعتيادية التي كانت تتواجد قبل توفر هذه الاجراءات، ومن الاجراءات التي تم توفيرها قبل حرب عام (٢٠٠٣)" [١٣]، هي الحفظ الاحتياطي للمقتنيات خارج المكتبة وداخلها، رغم أن هذه الاجراءات لم تكن كافية، وذلك حسب وجهة نظر العاملين في المكتبة الوطنية، حيث صرح عدد من العاملين في هذه الدار وقالوا بان الاجراءات لم تكن بدرجة كافية في مدى مناسبتها للحد أو تخفيف الأضرار التي تنتظر المكتبة وكان ذلك قبل قيام الحرب في البلاد، واكثر العاملين في هذه الدار، اقروا بعدم توفير اجهزة انذار كافية لدار الكتب والوثائق الوطنية، كما اكملوا تصريحهم بأن الأضرار التي تعرضت لها المكتبة الوطنية كانت تتراوح بين كبيرة وكبيرة جداً.

ويذكر أن أكثر الطرق التي اتبعت في التعويض لما سرق ونهب من دار الكتب والوثائق الوطنية، وخاصة فيما يتعلق بالحاسبات، الكتب، المبنى والأثاث، كان اغلبها عن طريق الشراء، وبدعم موجه من الحكومة والمنظمات الدولية المهتمة بالعلم والمعرفة والثقافة، "وقد تم عقد العديد من المؤتمرات وحلقات النقاش والندوات التي تتناول واقع حال دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية، وكانت جميع الجلسات التي عقدت من أجل دار الكتب والوثائق بعد انتهاء عمليات السرقة والنهب والحرق والسلب وبعد انتهاء الحرب بمدة زمنية طويلة نوعاً ما، ويذكر ايضاً أن أغلب المؤتمرات المعقودة كانت في الدول العربية، وقلة قليلة كانت قد عقدت في العراق"[١٤]، وذلك كونها تعد من أقدم الدور والمكتبات الوطنية في العالم العربي حيث تأسست عام (١٩٢٠)، ومنذ تأسيسها اهتمت

بجمع الكتب والمخطوطات والوثائق التاريخية ونفائس الكتب وحفظ النتاج الفكري العراقي والعربي.

وبذلك أصبحت المكتبة تحتوي تاريخ العراق بالكامل من خلال وثائق نادرة وهامة جداً، "ومن خلال مقابلة اعلامية تم اجرائها مع (أمينة المكتبة الوطنية المركزية) في عام (٢٠٠٣) وتم اجراء المقابلة في مدينة البصرة العراقية، وذكرت الامينة القصة الحقيقية والكاملة لما تعرضت له هذه المكتبة التي تعمل بها، وكيفية الإجراءات الوقائية التي تمت قبل الحرب كتصرف شخصي منها ومن قبل كافة الموظفين الذين يعملون في المكتبة، كما ذكرت انها قامت وبتصرف شخصي منها بإخلاء (٧٠%) من مقتنيات المكتبة بالكامل وقد حدث هذا قبل أيام قليلة من حرقها وسرقها ونهبها، وقد تم نقل الكتب والمخطوطات والمطبوعات...الخ، إلى بيتها بمساعدة الأصدقاء والأهل والجيران وكافة الموظفين في دار الكتب والوثائق العراقية الوطنية، وقد فعلت هذا كإجراء وقائي خوفاً منها على ما قد يحصل لهذا الكنز المعرفي والعلمي والثقافي خلال فترة الحرب، تضيف أمينة المكتبة "أنه في أواخر الأيام قبل الحرب على العراق كانت تذهب إلى المكتبة العامة كالمعتاد، وفي المساء تملأ سيارتها بالكتب وتنقلها إلى بيتها بالمباشرة"[١٥]، واضافت ايضاً أنها قد نقلت العديد من الكتب الى بيوت الموظفين في المكتبة والهدف هو حماية المجموعة المكتبية بالكامل، وفي يوم من ايام عام (٢٠٠٣) دخلت القوات العسكرية إلى المنطقة وبدأت نيران المدفعية من والدبابات تقصف المدينة ومن بينها المكتبة الوطنية، وفي صباح اليوم التالي ذهبت الامينة الى المكتبة، وتفاجأت بانها لم تجد أيا من الموظفين، وقد وجدت المكتبة خالية والأبواب مكسورة، وذكر اغلب الباحثين في هذا الجانب انه كان من الممكن تحصين المكتبة بصورة افضل وتقليل الاضرار بصورة كبيرة، وأن الأحداث التي تعرضت لها دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية من دمار وحرق ونهب من جراء حرب عام (٢٠٠٣)، وقد ذكر وقتها عدد من الموظفين "أن هنالك تعليمات أصدرها النظام السابق، وهذه التعليمات خاصة بخطة للطوارئ تهدف لحماية أكبر عدد من المجموعات والمعدات في حالة الحرب"[١٦]، وتناول عدد من

الموظفين كافة احوال المكتبة الوطنية اثناء الحرب، وحول واقع حال المكتبات الجامعية والمكتبة الوطنية ووثائق العراق المهمة والتي تعرضت له خلال الحرب وما بعدها ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة والمساعدة لاجتياز أزمتها، واعتبر الاغلب "أن ما حدث من نهب وسلب وحرق للمكتبة الوطنية العراقية والأرشيف والمخطوطات في العراق حدث جسيم بمعنى الكلمة جداً"(١٧).

وأوضح العاملين في دار الكتب والوثائق الوطنية، أن مبنى المكتبة الوطنية قد تضرر بشكل كبير جداً رغم أن بعض الموظفين قد قاموا بإخلاء نسبة كبيرة من الكتب والوثائق والأرشيف لحفظها في مكان امن، وذكر بعض الموظفين أنه كان هنالك اشخاص ومنهم رجل دين بحفظ ما نسبه كبيرة من الكتب ونقلها إلى المسجد الذي كان في موقع قريب من المكتبة الوطنية، "وتشير التقارير الامنية أن القوات الأمريكية قد دخلت بغداد في (٢٠٠٣/٤/٨)، وبدأت هنا عمليات الحرق والسلب والنهب في (٢٠٠٣/٤/١١)، واستمرت الحرائق تندلع بين يوم وآخر في دار الكتب والوثائق دون معرفة الاسباب والمسببين واستمرت الحرائق ولفترة طويلة، وذكر الموظفين ان ما تم انقاذه في هذه الفترة فقط لا يزيد عن (٥%) فقط من الوثائق
و (٢٥%) من كتب المكتبة الوطنية، التي تمت حمايتها بإغلاق الأبواب الحديدية، وأضاف العاملين بان المكتبة فقدت (٦٠%) من الوثائق العثمانية والهاشمية (الملكية)، كما فقدت الكثير من الوثائق التي كانت قد نقلت إلى (السرداب)" (١٨).

ويوجد هنالك العديد من الكتب القديمة والوثائق والمخطوطات موجودة في الطابق السفلي لمبنى الهيئة العامة للسياحة ضاعت بسبب الإغراق بالمياه بالتعمد لهذا الطابق، والهدف كان هو الطمس بتاريخ العراق كلياً والى الأبد، "وقد استكر الاتحاد الدولي لجمعية المكتبات (IFLA) ، والمجلس العالمي للتوثيق (FLA&ICA)،عام (٢٠٠٧) فيما حدث للمكتبة، حيث وصف مدير الدار حالة السوء التي كانت عليها المكتبة الوطنية، حيث قال انه تم الدخول إليها بهدف الإساءة لها وتخريبها وسرقة مقتنياتها، حيث تم حرقها بالكامل في تلك الفترة"(١٩).

وقد ذكر أحد الموظفين المهمين في دار الكتب والوثائق الوطنية، أثناء عملية بحثه عن المسروقات والمنهوبات في بغداد، وهو يتقصى ويتحرى ويبحث عن غموض وملابسات حرق ونهب دار الكتب والوثائق الوطنية ومكتبة الأوقاف ومكتبة المجمع العلمي العراقي، وأضاف بأن خسارة العراق إثر احتلال بغداد تقدر بحوالي (مليون كتاب ووثيقة ومخطوطة) يعود بعضها إلى العصر الذهبي لعاصمة الخلافة الإسلامية، "ومن بين المخطوطات التي خسرها العراق مخطوطة أصلية لعمر الخيام ، وأطروحات فلسفية لابن راشد والكندي والفارابي، كما اضاف الباحث أن الدمار الكبير والحرائق كان سببها القوات العسكرية والقيادة الأمريكية" (٢٠).

كما وصف البعض ما تعرضت له المكتبة الوطنية وبعض المكاتب المهمة في بغداد، من تدمير ونهب وسلب على يد عصابات وصفوها بالعصابات المنظمة في عام (٢٠٠٣)، ومنها مكتبة المتحف العراقي، والمكتبة الوطنية، وتم تقدير حجم بعض الخسائر في كتب المكتبة المركزية في جامعة الموصل والتي بلغت حوالي (٨٩٠٠٠٠) مجلد وكتاب نادر، كما بلغت خسارة مكتبة الأوقاف (٨٥٠٠) مخطوط إسلامي ونسخ نادرة من القرآن الكريم، وبلغت خسائر مكتبة جامعة البصرة (١٩٠٠٠٠) مجلد وما يقارب(٧٠٠) مخطوطة، أما "المكتبة الوطنية ودار الوثائق والتي تم تدميرها بالكامل فقد فقدت (٤١٧٠٠٠) كتاب وأكثر من(٢٦١٨) دورية من العهد العثماني و ما يقدر ب(٤٤٢١) مخطوط وكتاب من المجموعات النادرة"(٢١).

ويؤكد اغلب الباحثين في هذا الجانب، على أن مثل هذه الكتب والمخطوطات والمطبوعات لا يمكن تعويضها بأي شكل من الأشكال، وهي تعد خسارة كبيرة لبلاد الرافدين، وتمت الإشارة هنا من قبل بعض العاملين في دار الكتب والوثائق الوطنية، إلى الجهود المبذولة من قبل (جمعية المكتبات الأميركية) والتي ساهمت مساهمة كبيرة في أعادة إعمار المكتبات العراقية وعلى رأسها المكتبة الوطنية. "كما شهد الكثير من العاملين في المكاتب الرئيسية بوجود اضرار كبيرة اصابت المكتبات العراقية والمؤسسات المعنية

بالثقافة، وقد تم التطرق الى فقرات خاصة بدار الكتب والوثائق، ومثل مكتبة المتحف، كما ذكروا بعض الحرائق المتعمدة التي اضرمت فيها واستمرت لأيام دون توقف.

وايضاً عملية الإتلاف المنظم لموجودات هذه المكتبات من مصادر قيمة، يعود اغلبها إلى الفترة العثمانية ومنها ما يعود تاريخها إلى فترة الحكم الملكي الهاشمي (١٩٢٠-١٩٥٨)، ولكن كانت هنالك جهود للموظفين في إنقاذ (٤٠%) من الموجودات في المكتبة الوطنية حيث قاموا بنقلها إلى أماكن آمنة للحفاظ عليها، وما تعرضت له "الأماكن البديلة التي تم نقل الكثير من الوثائق إليها قبيل الحرب كإجراء وقائي، وكل ما تعرضت له الوثائق كان بسبب سوء الخزن"[٢٢].

يرى الباحث أن دار الكتب والوثائق تكتسب أهمية كبيرة من قبل الجميع، لذا تحتفظ الدار في الوثائق الرسمية وشبه الرسمية والأوراق الشخصية منذ تشكيل الدولة العراقية بعد الحرب العالمية الأولى، رغم أن الدار قد تعرضت إلى تدمير كبير وخسرت أكثر من (٦٠%) من مصادرها الأرشيفية من وثائق وسجلات وصور فوتوغرافية وخرائط غطت عهودا سياسية مختلفة للعراق الحديث، الأمر الذي يجعل ذاكرة التاريخ المعاصر تتعرض إلى كارثة. وبالتالي في كل العالم تكون هناك حماية خاصة لهذه الأمكنة الارشيفية، من الحروب والحرائق، وايضاً هناك أمكنة بديلة تساعد على حفظ كل مقتنياتها.

ثانيا – الأضرار التي لحقت بدار الكتب أثناء حرب ٢٠٠٣ وبعدها:

إن ما حدث من سرقة ونهب وتدمير للتراث العلمي والثقافي للعراق من خلال حرب عام (٢٠٠٣)، كان عبارة عن هجوم على العلم والثقافة الغنية للبشرية نفسها، وأوضحت أن المكتبات العراقية مثل مكتبة دار الكتب والوثائق. "المتحف العراقي والكثير من المكتبات الجامعية قد تعرضت للنهب ولحقتها أضرار كبيرة لعدم اتخاذ الإجراءات الوقائية قبل الحرب وعدم تطبيق الضمانات التي تحمي الوثائق والكتب في هذه المكتبات ومواقع التراث الثقافي من اللصوص والدمار"[٢٣]. فقدت المكتبة الوطنية في العراق (دار الكتب والوثائق)، أثناء الفوضى التي رافقت سقوط النظام السابق في العراق،

وذلك باجتياح القوات الأميركية لبغداد في عام (٢٠٠٣)، فقدت الكثير من المخطوطات والوثائق النادرة وبعضها سرق على أيدي مختصين والهدف منها كان إضاعة التراث العريق للعراق، وبعضها وقع بأيدي لا تعرف ما قيمته بالإضافة إلى ضياع الألاف من الكتب وسير التأريخ النادرة، وإن هذه المكتبة العراقية كانت قد فقدت كميات هائلة من الملفات والسجلات المهمة ومن بينها وثائق عثمانية نادرة وصور وخرائط ثمينة جداً، وبعضها تعرض للسرقة وبعضها تعرض للحرق، وكان هنالك عدداً من العراقيين، تبرع بجمع ما أمكن جمعه من أيدي اللصوص وأعاده للمكتبة" أما الوثائق النادرة والغريبة، فيبدو أنها سقطت بأيدي محترفين يعرفون قيمتها، ولكن رغم كل الدمار الذي لحق بالمكتبة العراقية، فإن إدارة الكتب والوثائق لم تتأخر في ترميم ما يمكن ترميمه، وهي لغاية الآن تمكنت من ترميم نحو (٩٠%) من الكتب التي تعرضت للحرق، أو التي مزق بعض منها" [٢٤].

عندما هبت رياح الحرب في العراق، وتم نهب متاحف بغداد والموصل، وسرقة أكثر من ١٠ آلاف موقع أثري، بخلاف المعابد، أي باختصار شديد تم نهب البلاد بالكامل، وبالطبع لم تسلم المكتبات الوطنية من هذا التخريب، حيث تم تدمير اغلب المحتويات التابعة للمكتبة الوطنية العراقية، وكانت تضم في ثمانينيات القرن الماضي اكثر من (٤١٧) ألف مجلد و(٢٦١٨) مجموعة من الصحف والدوريات واكثر من (٤٤١٢) كتابًا نادرًا، وقُدرت مقتنياتها دار الكتب والوثائق الوطنية عشية الغزو الأمريكي بـ (٢ مليون) مطبوعة رقمية، ومن بينها أكبر مجموعة في العالم من الصحف العربية، اما بعد انتهاء الغزو لم يبق من المكتبة الوطنية العراقية سوى طبقة سمكية من الغبار يمكن لليد أن تمسحها دون أي مقاومة تذكر، كما أنها "تعرضت للنهب والحرق في الوقت نفسه مكتبة الأوقاف الواقعة على بعد (٥٠٠) متر من المكتبة الوطنية" [٢٥].

كبيرة هي الأضرار التي حدثت للمكتبات العراقية والمؤسسات المعنية بالتراث الثقافي، وقد حددت فقرات خاصة بكل مكتبة تم التطرق إليها بجانب الضرر، مثل مكتبة المتحف والمكتبة الوطنية ودار الوثائق ومكتبة بيت الحكمة وغيرها من المكتبات

العراقية، كما أثرت عليها الحرائق المتعمدة التي حدثت فيها واستمرت لأيام وكيف تم الإتلاف المنظم لموجودات هذه المكتبات من مصادر قيمة، يعود بعضها إلى الفترة العثمانية ومنها ما يعود تاريخها إلى الفترة (١٩١٨)، وإلى فترة الحكم الملكي الهاشمي (١٩٥٨)، وهنا لابد أن نشير إلى "جهود الموظفين في إنقاذ اعداد كبيرة من موجودات المكتبة الوطنية، إذ قاموا بنقلها إلى أماكن آمنة للحفاظ عليها"[٢٦].

ايضاً مع عودة الحياة تدريجياً إلى طبيعتها في العاصمة بغداد بدأ الموظفون والعاملون في دار الكتب والوثائق الوطنية بالعودة إلى أعمالهم، ولكن بين الركام الذي خلفته أعمال النهب والتخريب، وقد بدأت أبرز معالم العراق الثقافية لما لها من أثرا فكري ومعرفي. رغم أن الدار الواقعة في الجهة المقابلة لوزارة الدفاع القديمة، والتي تعرضت لدمار كبير قد نجت من الصواريخ الأميركية، إلا أنها لم تنج من أيدي اللصوص والمخربين الذين لم يكتفوا بنهب محتوياتها من الكتب والوثائق والمخطوطات، وإنما أضرموا النار فيما تبقى مخلفين وراءهم أكواما من الصحف التي أحالتها النيران رمادا تذروه الرياح.

وكانت الدار المنكوبة تحتوي قبل تدميرها على أكثر من مليوني كتاب وأربعة ملايين وثيقة نادرة لا تقدر بثمن تعود إلى أكثر من (١٥٠) سنة، وتتمثل "مهمة هذه الدار في مساعدة الباحثين والدارسين من طلاب الماجستير والدكتوراه وإفادتهم من مراجعها وكتبها ووثائقها. كما لم يكن بالإمكان إصدار أي كتاب في العراق ما لم يأخذ رقم إيداع خاص من هذه الدار"[٢٧]. وأمام مبنى الدار المتفحم حملّ العديد من المعنين القوات الأميركية ومن وصفتهم بمغول العصر الحديث، مسؤولية ما لحق بتراث العراق الثقافي من نهب وحرق. وكانوا يشيرون إلى نهب بغداد على أيدي المغول عام (١٢٥٨م)، وإلى شائعات تتردد على شفاه كافة البغداديين تقريبا مفادها أن أعمال النهب التي اجتاحت المدينة على مدى أكثر من أسبوعين يقودها بعض المخربين والتابعين لدول معادية، أو هم من غير العراقيين الذين يعملون بموافقة من الولايات المتحدة، والذين قرروا تجريد المدينة من كل شيء ذي قيمة.

يرى الباحث رغم ذلك كانت هناك رؤى ومخططات لحماية هذه الدار، والاحتفاظ بأرشفة أهم ما تتضمنه من مصادر ووثائق، لأنها تعد مرجاً مهما لجميع المختصين في العراق، وحتى خارج العراق. وهي بالتالي دعوة للاستفادة من هذه التجربة وما مرت من أحداث في المستقبل، لعدم استقرار الاوضاع، فضلاً لأن العراق يشكل تاريخ وحضارة تغير العديد من المفاهيم على مستوى العالم، والفضل يعود لهذه الدار وما تختزله من معلومات وحرص على كل ما يهم الجوانب الفكرية والمعرفية وايضاً التاريخية التي ارشفت كل ما مر به العراق، وايضا آخر نتاجات الدارسين والباحثين بالجانب التقني والتكنولوجي.

الخاتمة:

تعد دار الكتب والوثائق العراقية من الدور المتميزة والتي عملت من اجل تقديم افضل الخدمات البحثية عبر المركز الوطني للوثائق في دار الكتب والوثائق، وحاولت منذ أزمنة أن تحافظ على الموروث الثقافي والتاريخي الوثائقي لذاكرة العراق وحسب العهود التي مر بها التاريخ العراقي. كما تعد نشأت وتطور دار الكتب والوثائق عام (١٩٨٧)، عندما قررت وزارة الثقافة العراقية أن تقوم بدمج المكتبة الوطنية، مع المركز الوطني للوثائق الذي تأسس سنة (١٩٦٣)، الهدف من هذا الدمج هو توحيد اعمالهما وتكوين وجهة واضحة لتسهيل مهام الباحثين، ويعود تاريخ انشاء المكتبة الوطنية الى عام (١٩٢١) تألفت من لجنة خاصة وبأمر من الملك (فيصل الأول) وتكونت من كبار الأدباء والعلماء والوجهاء العراقيين الذين اخذوا على عاتقهم تشكيل هذا المعلم الوطني الكبير، واصبحت المكتبة الوطنية هي المكتبة الرسمية في البلاد حسب القانون العراقي العام، الذي نص على تأسيس مكتبة رسمية في بغداد تسمى (بالمكتبة الوطنية)، تقوم هذه المكتبة بجمع وحفظ واصدار الكتب الرسمية والمخطوطات والمطبوعات الدورية والمصورات وكل شيء له علاقة بالتراث الوطني والعربي، وأي شيء يتصل بالحضارة والتراث الإنساني، وايضاً العمل على تسيير أمور الباحثين والدارسين. في عام (١٩٦٤) ألحقت المكتبة الوطنية بوزارة الثقافة والإرشاد بموجب القانون رقم (٤٣) لسنة (١٩٦٤)

وفي (١٩٨٧) دمجت المكتبة الوطنية مع المركز الوطني للوثائق، ليكونا دار الكتب والوثائق وذلك استنادً إلى تعليمات وزارة الثقافة والإعلام رقم (٨) لسنة (١٩٨٧) وبهذا التشريع أصبحت المكتبة الوطنية إحدى تشكيلات الدار المذكورة.

ايضا كان للجودة الشاملة في دار الكتب والوثائق الوطنية، مستوى متميز يعني بكيفية القياس والتعبير الكمي في المنتجات المصنعة ومدى تطابقها مع المعايير الموضوعة اما الأشياء الأقل ملموسة مثل نوعية الخدمات المكتبية المعلوماتية فان تحديدا النوعية صعبا جدا ويكون الحكم في تحقيق الجودة يعد مسؤولية كل فرد في المكتبة على كافة المستويات كما يشتمل على كل جانب من جوانب العمل المكتبي وتؤكد ادارة الجودة الشاملة فكرة تكاملية ولابد من تطبيقها عمليا في كل جانب من نشاطات المكتبة ذلك لان ادارة الجودة الشاملة يتم بالتغير الثقافي بحيث يكون كل فرد في المكتبة ملتزما بتقديم خدمات ذات جودة عالية.

ايضا كان لتأثير الحرب في عام (٢٠٠٣) على دار الكتب والوثائق العراقية، قد كشفت مستوى ما تعرضت له الدار وكتبها ووثائقها ومخطوطاتها وكافة مقتنياتها للسرقات والتدمير والحريق المتعمد عبر اختراق أماكن حفظها وحمايتها، بالرغم من توافر عدد من الإجراءات الوقائية قبل حرب (٢٠٠٣)، منها توافر أجهزة الإنذار وتوفر افراد حماية لدار الكتب والوثائق الوطنية، والحماية التقليدية الاعتيادية التي كانت تتواجد قبل توفر هذه الاجراءات، من أجل الحفظ للمقتنيات خارج المكتبة وداخلها، رغم أن هذه الاجراءات لم تكن كافية، للحد أو تخفيف الأضرار التي تنتظر المكتبة وكان ذلك قبل قيام الحرب في البلاد، رغم ذلك كانت هناك رؤى ومخططات لحماية هذه الدار، والاحتفاظ بأرشفة أهم ما تتضمنه من مصادر ووثائق، لأنها تعد مرجاً مهما لجميع المختصين في العراق، وحتى خارج العراق.

الهوامش والمصادر:

(١) وحيد موسى سعد، مصدر سابق، مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٩، ص ٣٢.
(٢) الموسوعة الحرة، غزو العراق، ٢٠١١ ، متاح على:
http: /org.wikipedia.ar/ wiki /
(٣) رولاند راست، عائد الجودة : قياس النتائج الحالية لبرنامج الجودة في شركتك، القاهرة : الشركة العربية للعالم، س٤، ١٩٩٦، ص٤.
(٤) محمد عوض الزنوري، محمد زايد، بشير مصطفى، ادارة الجودة الشاملة في المكتبات ومراكز المعلومات الجامعية ، دار الحامد، عمان: ٢٠١٩، ص٣.
(٥) محمد سلامة، عبد الحافظ، خدمات المعلومات وتنمية المقتنيات المكتبية، دار الفكر، عمان: ١٩٩٧، ص ٤٤.
(٦) وزارة الثقافة والسياحة والآثار، دار الكتب والوثائق الوطنية، مكاتب الدار في المحافظات. نقلاً عن:
https://www.iraqnla.gov.iq/٥adamat/makateb.html
(٧) مركز الإعلام الدولي، المكتبة الوطنية حاضنة التراث الفكري والثقافي العراقي، ١٧/ ٧/ ٢٠٢١. نقلاً عن:
https://imhussain.com/arabic/section٣١/٣٠٧٤
(٨) مركز الإعلام الدولي، المكتبة الوطنية حاضنة التراث الفكري والثقافي العراقي، مصدر سابق.
(٩) فيصل الحداد، خدمات المكتبات الجامعية، دراسة تطبيقية للجودة الشاملة، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠١٦، ص ١٣١.
(١٠) جو هانسون، معجم مصطلحات الإدارة، ترجمة نبيو غطاس، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٢، ص ٨٥.
(١١) عصام محمد عبيد، تطبيق مبادئ ادارة الجودة الشاملة في المكتبات ومراكز المعلومات، جمهورية مصر العربية، الاسكندرية، ٢٠١٥، ص ٥١.
(١٢) صبحي جبير العتيبي، تطور الفكر والأساليب في الإدارة، دار الحامد، عمان، ٢٠١٥، ص ٣٢١.
(١٣) Cook, Hansel, the Deliberate Destruction of Libraries in Wartime: Sarajevo and Beyond. Focus on International Library and Information Work,٢٠٠٨.P ٣٩.
(١٤) دار الكتب والوثائق، انجازات الخطة السنوية الإدارية و الفنية لدار الكتب والوثائق، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٧.
(١٥) History of Baghdad, www.en.uobaghdad.edu.iq, Retrieved, ١٨-٨-٢٠١٨. Edited
(١٦) الشمسي، إيمان، دار الكتب والوثائق الوطنية في العراق، دراسة تقويمية تطويرية، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٨.
(١٧) Spurr, Jeffrey B, Iraqi Libraries and Archives in Peril: Survival in a Time of Invasion Chaos, and Civil Conflict, ٢٠٠٧, p. ٢٥.
(١٨) Spurr, Jeffrey B, the Library in Dangerous Times: A Report on the Status of Iraqi

Academic Libraries and a Survey of Efforts to Assist Them, with Historical Introduction Oriental Institute, University of Chicago; Middle East Librarians Association Committee on Iraqi Libraries, ٢٠٠٥, p. ٢١.
(١٩) IFLA & ICA, The security of the Iraq National Library and Archives. IFLA publications. The Hague, Netherlands, ٢٠٠٧, Available at: p. ١٢٨.

(٢٠) Baez, Fernando, A Universal History of the Destruction of Books: From Ancient Sumer to Modern Iraq, Atlas & Co. ٢٠٠٨,p. ٥٥.

(٢١) Albanese, A., & Rogers, M. Iraqi Libraries Devastated in War. Library Journal, ١٢٨, ٩, ١٨- ٢٠, ٢٠٠٣. P. ٨٧.

(٢٢) Kam, Vanessa, Cultural Calamities: Damage to Iraq's Museums, Libraries, and

Archaeological Sites During the United States-Led War on Iraq, Art Documentation, ٢٠٠٤.p. ٩٢.

(٢٣) Eskander, Saad, The Tale of Iraq's Cemetery of Books: an International Report

Information today, ٢١, ١١, ٤٩-٥٤, ٢٠٠٤.p. ٢٠.

(٢٤) فاضل مشعل، محاولات جادة لإنقاذ مخطوطات وكتب ثمينة، ٢٠٠٧/٩/١٩، بغداد، نقلاً عن: https://www.aljazeera.net/culture/٢٠٠٧/٩/١٩

(٢٥) أحمد تايلور، أهم المكتبات التي جرى تدميرها عبر التاريخ، ٢٠١٧/٠٨/٦، نقلاً عن: https://www.noonpost.com/content/١٩٥٧٤

(٢٦) سعيد حميدي، دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية تبحث عن مبنى، الجزيرة، بغداد، ٢٠٠٣/٤/٣٠.

(٢٧) سعيد حميدي، دار الكتب والوثائق الوطنية العراقية تبحث عن مبنى، مصدر سابق.